غزوة أُحُد

بعد الهزيمة المنكرة التي نزلت بقريش، والخسائر الفادحة التي ألحقها بها المسلمون يوم الانتصار العظيم عليها في غزوة (بدر الكبرى)، أخلدت قريش إلى نواديها، وأقامت المآتم ومجالس العزاء، تبكي قتلاها وأعزاءها الذين فقدتهم يوَمذاك، وبخاصَّةٍ الذين أمسى لهم قليب (بدر) مستقراً ومقاماً.

ثم تنبَّه عقلاؤها إلى أن البكاء لن يجديهم نفعاً، ولن يرد إليهم من رَحَلَ، بل إنه سيزيد من سرور المسلمين وابتهاجهم، وأن خير ما يفعلون أن يثأروا لهم وينتقموا من عدوهم، وفي ذلك راحة لأرواحهم، وسكينة لنفوس أقاربهم وأهاليهم. ولهذا كفكفوا دموعهم، وخلعوا أردية أحزانهم، ثم تداعوا إلى جمع الشمل، ورَصِّ الصفوف، وحشد الطاقات، وتأليب القبائل وتحذيرها من الخطر العظيم الذي بات يشكله المسلمون على حياتهم، واستمرار وجودهم. ومشى «عبد الله بن أبي ربيعة» و«عكرمة بن أبي جهل» و«صفوان بن أمية» في رجال من قريش، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم، فكلموا «أبا سفيان بن حرب» ومن كانت لهم في العير ـ القافلة ـ التي كان يقودها ـ تجارة، فقالوا: يا معشر قريش! إن «محمداً» قد وتركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، لعلنا ندرك ثأرنا منه، ففعلوا.

واتصلت قريش بقبائل كنانة وأهل تهامة، وتحالفت مع الأحابيش، وأجمع كل أولئك أمرهم على حرب رسول الله ﷺ.

وكان رسول الله ﷺ قد مَنَّ على «أبي عزة، عمرو بن عبد الله الجمحي» وخَلَّى سبيله بعد أسره يوم بدر بسبب فقره ورحمة بعياله، وقد وعده ألاّ يظاهر عليه أحداً، لكن «صفوان بن أمية» قال له: إنك شاعر، فأعِنَّا بلسانك، واخرج معنا، فإن رجعتَ لك عليَّ أن أغنيَك، وإن أُصِبْتَ فسأضم بناتك إلى بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر، فوافقه، وخرج يحرض على حرب رسول الله ﷺ، وأخلف وعده له. ووعد «جبير بن مطعم» غلامه الحبشي واسمه «وحشي بن حرب» بعتقه إن هو قتل «حمزة بن عبد المطلب» بعمه «طعيمة بن عدي». وخرجت قريش بقضِّها وقضيضها، ومن معها من القبائل والأحابيش ومعها الظعن لئلا يفر الرجال، فتؤخذ نساؤهن سبايا. فكانت «هند بنت عتبة» مع زوجها «أبي سفيان بن حرب» ـ قائد الناس يومئذ ـ وكانت أم حكيم بنت الحارث بن هشام مع زوجها «عكرمة بن أبي جهل» وخرج «الحارث بن هشام بن المغيرة» بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة، و«صفوان بن أمية» ببرزة ـ أو بَرَّة ـ بنت مسعود بن عمرو، و«عمرو بن العاص» بريطة بنت منبِّه بن الحجاج، و«طلحة بن أبي طلحة» بسلافة بنت سعد، و«خُناس بنت مالك» مع ابنها «أبي عزيز بن عمير» وهي أم السفير المقرىء «مصعب بن عمير» ـ وخرجت «عمرة بنت علقمة» من نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة.

ورأى رسول الله ﷺ رؤيا، فقصَّها على المسلمين وقال[1]: (إني قد رأيت بقراً فأولتها خيراً، ورأيت في ذُباب سيفي ثلماً، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، فأولتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مُقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها).

وقال ابن هشام[2]: وحدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ

(١) تاريخ الطبري (٢/٥٠٢).
(٢) ابن هشام (٣/٧١).

قال: (رأيت بقراً لي تذبح، قال: فأما البقر، فهي ناس من أصحابي يقتلون، وأما الثلم الذي رأيت في ذُباب سيفي، فهو رجل من أهل بيتي يقتل).

وكان رأي «عبد الله بن أبي ابن سلول» يرى رأي رسول الله ﷺ ألاَّ يخرج إليهم، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج من المدينة، إلا أن بعض الصحابة، وبخاصَّة الذين لم يخرجوا إلى (بدر)، رغبوا في الخروج ليعوضوا من الثواب يومئذٍ، وقالوا: يا رسول الله! اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنَّا جَبُنَّا عنهم وضعفنا، فقال «ابن أبي»: يا رسول الله! أقم بالمدينة، ولا تخرج إليهم، فوالله! ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله! إن أقاموا أقاموا بشر مجلس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا، فلما رأى رسول الله ﷺ من خلاف، دخل فلبس لأَمته[1] ثم خرج يوم الجمعة بعد فراغه من الصلاة. وندم الذين ألحوا على رسول الله ﷺ بالخروج، وقالوا: استكرهنا رسول الله ﷺ، ولم يكن ذلك لنا.

وجاء «النعمان بن مالك الأنصاري» فقال: يا رسول الله! لا تحرمني الجنة، فوالذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة! فقال له: (بِمَ؟) قال: بأني أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله، وأني لا أفرّ من الزحف، قال: (صدقت)، فقتل يومئذٍ. فلما خرج عليهم رسول الله ﷺ بَلأْمَتِه، قالوا: يا رسول الله! استكرهناك ولم يكن لنا ذلك، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك، فقال: (ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل)، فخرج رسول الله ﷺ في ألف مقاتل. وأمر «ابن أم مكتوم» أن يصلي بالناس. ووعد أصحابه بالفتح إن صبروا حتى إذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة انخزل (ابن أبي) بثلث الناس، وقال: أطاعهم فخرج وعصاني، والله!

(١) اللأمة: لباس الحرب.

ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس! ورجع بمن اتبعه من قومه من أهل الريب والنفاق، فتبعهم النقيب «عبد الله بن عمرو بن حرام»، وقال: يا قوم! أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوهم! قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنَّا لا نرى أن يكون قتال، فلما استعصوا عليه، وأبوا إلا الانصراف عنه، قال: أبعدكم الله، أعداء الله! فسيغني الله عنكم.

وبرز المشركون في ثلاثة آلاف، وعلى الخيل مائتا فارس، والظعنُ خمس عشرة امرأة. وكان مع رسول الله ﷺ سبعمائة رجل، بعد انخزال (ابن أبي) بثلاثمائة مقاتل ورجوعهم إلى المدينة. ومع المسلمين فَرَسان: واحد لرسول الله ﷺ وآخر لأبي بردة بن نيار الحارثي، ولم يكن هناك تكافؤ لا في الرجال ولا في العتاد.

واستعرض رسول الله ﷺ أصحابه فأجاز منهم من أجاز، وردَّ من ردَّ لصغر سنهم، وكان ممن ردوا يومئذٍ: «أسامة بن زيد» و«عبد الله بن عمر» و«زيد بن ثابت» و«البراء بن عازب» و«عمرو بن حزم» و«أُسَيْد بن ظُهَيْر» و«عرابة بن أوس» الذي قال فيه الشَّمَّاخ:

رأيت عرابة الأوسيَّ يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرينِ
إذا ما راية رفعت لمجدٍ ... تلقاها عرابة باليمين

وكان من الذين رُدُّوا «أبو سعيد الخدري» ورد «سمرة بن جُنْدَب» وأجاز «رافع بن خديج»، فجاء مُرَيٌّ بن سنان وهو ربيب «سَمُرة»: يا رسول الله! رددت ابني وأجزت «رافع بن خديج» وابني يصرعه، فأمرهما أن يتصارعا، فربح «سَمُرة» وأجازَه رسول الله ﷺ، فخرج مع المسلمين. وكان خروجهم في منتصف شهر شوال من سنة ثلاث للهجرة. وسُمِعَ رسول الله ﷺ يقول: (من يأخذ هذا السيف بحقه؟) فقام إليه رجال فحبسه عنهم، حتى قام «أبو دجانة، سِمَاك بن خَرَشة» فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: (أن تضرب به حتى ينحني) قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه، فأعطاه إياه، وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، وإذا أعلم بعصابة حمراء

عرف الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من رسول الله ﷺ، عصب رأسه وراح يختال بين الصفين، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك منه قال: (إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن).

وخرج «أبو عامر الراهب» في رجال من الأوس، من المدينة، للقتال ضد المسلمين، فلما التقى بالناس، نادى: يا معشر الأوس! أنا أبو عامر! قالوا: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق ـ وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية الراهب، فسماه رسول الله ﷺ: الفاسق ـ، فلما سمع ردهم عليه قال: لقد أصاب قومي بعدي شرّ، ثم قاتلهم قتالاً شديد، ورماهم بالحجارة.

وأمَّرَ رسول الله ﷺ على الرماة «عبد الله بن جبير» وكانوا خمسين، وحدَّد لهم مواقعهم على الجبل، وقال لهم: (لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا ظهرنا عليهم، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا) فلما لقي القوم هَزَمَ المشركين. وكان «مصعب بن عمير» يحمل لواء رسول الله ﷺ، وكان «حمزة بن عبد المطلب» على الخُسَّرَ، وكانت «هند بنت عتبة» وسائر الظُّعُن، خلف الرجال يضربن الدفوف، وراحت تقول:

ويهاً بني عبد الدارْ ويهاً حماة الأدبارْ
ضرباً بكل بتّارْ

وتقول أيضاً معهن:

نحن بنات طارقْ إن تقلبوا نُعَانقْ
ونفرش النمارقْ أو تدبروا نفارقْ
فراق غَيْرَ وامقْ

وملأت جثث قتلى المشركين الساحة، وكثرت الغنائم، وكان سيف رسول الله ﷺ الذي أعطاه «أبا دجانة» يفري في أعداء الله فرياً، فلا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفراه، وكان «الزبير بن العوام» يرقب «أبا دجانة» وما عساه يصنع بسيف رسول الله ﷺ الذي أراد أن يأخذه منه، لكن رسول الله ﷺ آثر به «أبا دجانة» فرآه (الزبير) يرفع السيف على إنسان، ثم

يكف عنه، فقال له: كل عملك قد رأيت، فما الذي جعلك تكفه بعد أن أهويت به على من رأيتك تكفه عنه؟ قال: أكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أقتل به امرأة، وكانت المرأة «هند بنت عتبة». ويقول الزبير: والله! لقد رأيتني أنظر إلى خدم «هند بنت عتبة» وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب، وخلّوْا ظهورنا للخيل، فأتينا من أدبارنا، وصرخ صارخ: ألا إن «محمداً» قد قتل، فانكفأنا، وانكفأ القوم، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منهم أحد من القوم.

وصاح الرماة على الجبل: الغنيمة الغنيمة، ثم أخذوا يخلون مواقعهم ليبتدروها فحذرهم أميرهم «عبد الله بن جبير» مغبة فعلهم، وقال: أما علمتم ما عهد إليكم رسول الله ﷺ، فأبوا إلا «عبد الله» ومن آثروا طاعة رسول الله ﷺ فثبتوا في مكانهم، فذلك قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ الذين رغبوا في الغنائم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] الذي قالوا: نطيع رسول الله ﷺ ونثبت مكاننا، فكان «ابن مسعود» يقول: (ما شعرت أن أحداً من أصحاب النبي ﷺ وكان يريد الدنيا وعرضها، حتى كان يومئذٍ).

وكان «طلحة بن عثمان» حامل لواء المشركين يقول: يا معشر أصحاب «محمد»! إنكم تزعمون أن الله يُعَجِّلنا بسيوفكم إلى النار، ويُعَجِّلُكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل منكم أحد يُعَجِّلُه بسيفي إلى الجنة، أو يُعَجِّلُني بسيفه إلى النار؟ فقام إليه «علي بن أبي طالب» ـ رضي الله عنه ـ فقال: والذي نفسي بيده! لا أفارقك حتى أُعَجِّلُك بسيفي إلى النار، أو تُعَجِّلُني بسيفك إلى الجنة، فضربه «عليٌّ» فقطع رجله، فسقط، فانكشفت عورته، فقال: أنشدك الله والرحم يا بن عم! فتركه، فكبر رسول الله ﷺ وقال لعلي: (ما منعك أن تجهز عليه؟) إن ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته فاستحييت منه.

كانت كفة المسلمين في بداية المعركة هي الأرجح، بيد أن رماتهم

حين خَشُوا أن يفوتهم نصيبهم من الغنيمة، خالفوا أمر رسول الله ﷺ ولم يحفلوا بتحذير أميرهم «عبد الله بن جبير» وغادروا أمكنتهم حتى لا يسبقهم إلى الغنائم أحد.

وكان «خالد بن الوليد» على رأس خيل المشركين، فلما رأى أن الرماة تركوا مواقعهم، ولم يبق منهم إلا قلة قليلة صاح في خيله، ثم حمل بها على بقية رماة المسلمين فأثخنوهم قتلاً، وقضوا على أميرهم (ابن جبير) ومن ثبت معه، ثم شَدُّوا على المسلمين فَقُتِلَ منهم من قُتِلَ، ولاذ من أخطأوه بالفرار.

وكان «علي بن أبي طالب» يتعقب ألوية المشركين ويقتل أصحابها، ورأى رسول الله ﷺ جماعة من المشركين، فقال لعلي: (احمل عليهم) فحمل عليهم وفرَّق جمعهم، وقتل «عمرو بن عبد الله الجمحي» ثم أبصر رسول الله ﷺ جماعة أخرى من المشركين فقال لعلي: (احمل عليهم) فحمل عليهم، ومَزَّق شملهم، وقتل «شيبة بن مالك» من بني عامر بن لؤي، فأتى جبريل عليه السلام وقال: يا رسول الله! إن هذه لَلْمُواساة، فقال رسول الله ﷺ: (إنه مني وأنا منه) فقال جبريل عليه السلام: وأنا منكما، فسمعوا صوتاً يقول:

لا سَيْفَ إلا ذو الفَقَارِ ولا فَتًى إلا عَلِي

ولما استُدْبِرَ المسلمون، وأتاهم المشركون من ورائهم، انكشفوا لعددهم، فنال منهم أيَّ منال، وتركهم أثلاثاً، بين صريع وجريح وفار أجهده القتال حتى ما يدري ما يصنع، ومِمَّا زاد الطين بَلَّةً، أشاعةُ أن رسول الله ﷺ قد قُتِلَ فأُسْقِطَ في يد أصحابه، ولم يعودوا يدرون كيف يتصرفون.

ولم تلبث تلك الإشاعة أن انقشعت كما تنقشع الغمامة، وتبين أن رسول الله ﷺ على قيد الحياة، غير أنه أصيب بعدد من الإصابات.

قال ابن إسحاق[١]: فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك، قال: كُسِرَت، رباعية النبي ﷺ يوم أحد، وشُجَّ في وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يقول: (كيف يفلح قوم خَضَبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟) فأنزل الله ﷻ في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وقال ابن هشام[٢]: وذكر رُبَيْح بن عبد الرحمٰن بن أبي سعيد الخُدْري، عن أبيه، عن أبي سعيد الخُدْري: أن عتبة بن أبي وقاص، رمى رسول الله ﷺ يومئذٍ، فكَسَرَ رباعيته اليمنى السفلى، وجَرَحَ شَفَتَه السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شَجَّه في جبهته، وأن ابن قمئة جَرَحَ وجنته، فدخلت حلقتان من حَلَق المِغفَر في وجنته، ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون، وهم لا يعلمون، فأخذ «علي بن أبي طالب» بيد رسول الله ﷺ، ورفعه «طلحة بن عبيد الله» حتى استوى قائماً، ومصَّ «مالك بن سِنان» أبو أبي سعيد الخُدْري، الدمَ عن وجه رسول الله ﷺ، ثم ازدرده[٣]، فقال رسول الله ﷺ: (من مَسَّ دمي دمه لم تُصِبْه النار).

وقال سَعد بن أبي وقاص: والله ما حرصت على قتل رجل قط ما حرصتُ على قتل «عتبة بن أبي وقاص» وإن كان ما علمت لسيىء الخلق، مبغَّضاً في قومه، ولقد كفاني منه قول رسول الله ﷺ: (اشتد غضب الله على من دمَّى وجه رسول الله).

وقال ابن هشام[٤]: وذكر عبد العزيز بن محمد الدراورديُّ: أن النبي ﷺ قال: (من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض،

(١) انظر ابن هشام في السيرة (٨٩/ ٣).
(٢) ابن هشام (٨٩/ ٣).
(٣) ازدرده: ابتلعه.
(٤) ابن هشام (٨٩/ ٣).

فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله). وذكر، يعني[١]: عبد العزيز الدراورديُّ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن عيسى بن طلحة، عن عائشة، عن أبي بكر الصديق: أن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ فسقطت ثنيته، ثم نزع الأخرى، فسقطت ثنيته الأخرى، فكان ساقط الثنيتين.

وبعد أن نال رسول الله ﷺ ما نال من الأذى والألم، قال: (من رجلٌ يشري لنا نفسه؟) فهب «زياد بن السكن» في نفر خمسة من الأنصار، وبعض الناس يقول: إنما هو «عُمَارة بن زياد[٢] بن السكن»، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ، رجلاً، ثم رجلاً، يُقتلون دونه، حتى كان آخرَهم «زيادٌ أو عمارةُ بن زياد بن السكن فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت من المسلمين فئة حتى أجهضوهم[٣] عنه، فقال رسول الله ﷺ: (أدنوه مني)، فأدنوه منه، فرسَّده قدمه، فمات، وخده على قدم رسول الله ﷺ.

ولكن، ما فعل «أبو دجانة» بالسيف الذي نَحلَهُ إياه، رسول الله ﷺ؟ لقد فعل بالمشركين الأفاعيل، ولما أصيب رسول الله ﷺ ترَّس بنفسه دون رسول الله ﷺ، وأخذ يتلقى النبل في ظهره، وهو مُنَحْنٍ عليه يقيه، حتى كثر النبل فيه، وكان «سعد بن أبي وقاص» يرمي دونه، ورسول الله يناوله السهام، وكلما ناوله سهماً قال: (ارْمِ، فداك أبي وأمي) وكان يتناول السهم من يده الشريفة، ليس فيه نصل ويقول: (ارم به)، وقد رمى رسول الله ﷺ عن قوسه حتى اندقت سيتها[٤] فأخذها منه «قتادة بن النعمان» فكانت عنده، وأصيبت يومئذٍ عين «قتادة بن النعمان» حتى وقعت على وجنته، فأتى النبي ﷺ فردَّها إلى مكانها بيده الشريفة، فكانت أحسن عينيه وأحَدَّهما.

---

(١) ابن هشام (٨٩/ ٣).
(٢) عند الطبري (٥١٥/ ٢) وعند ابن هشام (٩٠/ ٣) يزيد بدل زياد.
(٣) أجهضوهم: نحَّوهم وأزالوهم.
(٤) السِّيَةُ: طرف القوس.

ومن ينسى البلاء الذي أبلته «أم عُمارة، نُسَيْبَة بنت كعب المازنية؟» لِنَدَعْ «أم سعد بنت سعد بن الربيع» تروي لنا خبر «أم عُمارة»[١]، فعن سعيد بن أبي زيد الأنصاري: أن أم سعد بنت سعد بن الربيع، كانت تقول:

دخلت على «أُم عُمارة» فقلت لها: يا خالة! أخبريني خبرك، فقالت: خرجت أول النهار، وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء، فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ، وهو في أصحابه، والدولة والريح[٢] للمسلمين، فلما انهزم المسلمون، انحزتُ إلى رسول الله ﷺ. فقلت: أباشر القتال، وأذبُّ عنه بالسيف، وأرمي عن القوس، حتى خَلُصَتِ الجراح إليَّ، قالت: فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غَوْر، فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت: «ابن قَمِئَة»[٣] أقماه[٤] الله! لما ولَّى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دُلُّوني على «محمد»، فلا نجوتُ إن نجا، فاعترضت له أنا و«مصعب بن عمير»، وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة، ولكنْ! فلقد ضربته على ذلك ضربات، ولكنَّ عدو الله كانت عليه درعان. أجل، يا أم عُمارة، لقد كنت امرأة، ولكن، وقت الشدة، أظهرتِ قوة الرجال، وبأس الأبطال، فجزاك الله خير الجزاء.

أمَّا «مصعب بن عمير» حامل لواء المسلمين يومئذٍ، فقد ظل يقاتل حتى بلَّغه (ابن قمئة) الشهادة، حيث قتله، وهو يظنه رسول الله ﷺ، وأسرع إلى قريش يقول: قتلت محمداً، ولكن خسىء وباء بالخسران المبين، لأن رب «محمد» ﷺ لن يجعل للكافرين عليه سبيلاً.

وحَلَّ «علي بن أبي طالب» محلَّ «مصعب» في حمل لواء رسول الله ﷺ. وأما أسد الله، وأسد رسول الله ﷺ «حمزة بن عبد المطلب»

---

(١) الخبر عند ابن هشام (٣/٩١).
(٢) يريد بالريح: النصر.
(٣) ابن قمئة: في الطبري: ابن قميئة، بياء.
(٤) أقماه: أذلَّه.

عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاع، فقد استبسل في القتال، وجَدَّل أعتى الرجال، وقتل من عدوه بعض الأبطال، وكانت عينا «وحشي بن حرب» غلام «جبير بن مطعم» ترصدانه، إنه يريد أن يَبرَّ لسيده بما وعد حتى يفوز بحريته، وثمن حريته كان باهظاً، إنه رأس «حمزة»!

ووجد «وحشي» الفرصة التي كان ينتظرها، فهزَّ حربته حتى إذا رضي منها، أطلقها نحو «حمزة» فوقعت في لبته[١] حتى خرجت من بين رجليه، ولما حاول المشي إلى راميه، خانته قدماه، فخر صريعاً مضرجاً بدمائه الزكية. ولما اطمأن «وحشي» إلى مفارقته الحياة، دنا منه، ثم انتزع حربته من جسده، ومضى إلى سيده «جبير بن مطعم» الذي وعده بعتقه، وإلى «هند بنت عتبة» التي وعدته بجائزة قيمة، مبشراً، بعد أن حقق الغاية التي طلباها.

كان الحقد يملأ جوف «هند» على سيد الشهداء، فقد قتل «حمزة» عمها «شيبة بن ربيعة» يوم بدر، وذَفَّف عليٌّ على أبيها «عتبة بن ربيعة» بعد أن أثبته «عبيدة بن الحارث»، ولهذا، هرعت إلى جثة «حمزة» فمثلت بها أبشع تمثيل، ثم استخرجت كبده بخنجرها، وقضمت مضغة منها، فلاكتها، فلم تُسِغْها، فلفظتها، وراحت مع صويحباتها يطفن على الشهداء يجدِّعْنَ الآنُف والآذان، ويصنعن منها الخلاخل والقلائد بعد أن وهبت لوحشي حُليَّها جميعاً جزاء ما فعل. ثم علت صخرة، وراحت تنشدنا بأعلى صوتها:

نحن جزيناكم بيوم بدرِ ... والحرب بعد الحرب ذات سُعْرِ[٢]
ماكان عن عتبة لي من صبرِ ... ولا أخي وعمه وبكري
شفيتَ نفسي وقضيتُ نذري ... شفيتَ وحشيُّ غليل[٣] صدري
فشكر وحشي عليَّ عمري ... حتى ترِمَّ أعظمي في قبري

فردَّت عليها «هند بنت أُثاثة» فقالت:

---

(١) اللَّبَّة: موضع القلادة من العنق.
(٢) السُّعُر: بضمتين: الالتهاب، وسكنت العين للوزن.
(٣) الغليل: حرارة الجوف.

خـزِيـتِ فـي بـدرٍ وبـعـد بـدرِ يـا بـنـت وقّـاعٍ[١] عـظـيـم الـكُـفْـرِ
صـبـحّـك الله غـداة الـفـجـرِ مِـلْـهَـا شـمـيّـيـن الـطّـوال الـزُّهـرِ
بـكـل قَـطّـاعٍ حُـسَـامٍ يـفـري حـمـزةُ لـيـثـي وعـلـيٌّ صـقـري
إذ رام شـيـبٌ وأبـوكِ غـدري فـخـضّـبـا مـنـه ضـواحـي الـنَّـحْـرِ

وبَصُرَ «الحُلَيْسُ بن زَبّان» سيد الأحابيش، «أبا سفيان بن حرب» يضرب في شدق «حمزة بن عبد المطلب» بزُجِّ الرمح، ويقول: ذق عُقَقُ[٢] فقال الحُلَيْسُ: يا بني كنانة! هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحماً[٣]، فقال: ويحك! اكتمها عني، فإنها كانت زَلّة.

ولما أزمع «أبو سفيان» الرحيل، أشرف على الجبل، وصرخ بأعلى صوته: أنعمتَ فِعال، إن الحرب سِجالٌ، يوم بيوم، أعلُ هُبَلُ: أي: أظهر دينك. فقال رسول الله ﷺ: (قم، يا عمر! فأجبه، فقل: الله أعلى وأجَلُّ، لا سواء ـ أي: لا تستوي ـ قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار)، فلما أجاب «عمر» أبا سفيان، قال له أبو سفيان: هُلُمَّ إليَّ يا«عمر»! فقال رسول الله ﷺ لعمر: (ائته، فانظر ما شأنُه) فجاءه، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر! أقتلنا «محمداً»؟» قال عمر: اللّهمَّ لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدقُ عندي من ابن قمئة وأبَرُّ، لقول ابن قمئة لهم: إني قد قتلت «محمداً». ثم نادى «أبو سفيان»: إنه كان في قتلاكم مُثَلٌ، والله! ما رَضِيتُ، وما سَخِطْتُ، وما نَهَيْتُ، وما أَمَرْتُ، ثم قال: إن موعدكم «بدر» للعام القابل، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه (قل: نعم، هو بيننا وبينكم موعد). ثم بعث رسول الله ﷺ «علياً» في آثارهم، فقال: (اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون، وما يريدون، إن كانوا قد جنّبوا الخيل، وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده! لئن أرادوها لأسيرنَّ إليهم

(١) الوقّاع: الكثير الخطايا.
(٢) ذُقْ عُقَقُ: أي: يا عاق.
(٣) لحماً: أي ميتاً لا يستطيع الانتصار.

فيها، ثم لأناجِزَنَّهم)، قال علي: فخرجت في آثارهم انظر ماذا يصنعون؟ فجنَّبوا الخيل، وامتطوا الإبل، ووَجَّهوا إلى مكة. وذكر أبو جعفر الطبري في تاريخه[١] [عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني القاسم بن عبد الرحمٰن بن رافع، أخو بني عدي بن النجار، قال: انتهى «أنس بن النضر» عم «أنس بن مالك» إلى «عمر بن الخطاب» و«طلحة بن عبيد الله» في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يُجْلِسكم؟ قالوا: قتل «محمد» رسول الله ﷺ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا كراماً على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قتل، وبه سُمِّيَ «أنس بن مالك»]. ولما قتل «أنس بن النضر» ـ رحمه الله تعالى ـ وجدوا فيه يومئذٍ سبعين ضربة وطعنة، فما عرفه غير أخته، عرفته بحسن بَنَانه.

وعلت عاليةٌ من قريش الجبل، فقال رسول الله ﷺ: (اللَّهم! إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا)، فقاتل «عمر بن الخطاب» ورهط من المهاجرين معه، حتى اهبطوهم عن الجبل، ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وكان قدَ بَدَّن ـ أي: سمن ـ وظاهر بين درعين، فلم يستطع النهوض، فجلس «طلحة بن عبيد الله» تحته، ونهض به حتى استوى عليها. قال الزبير: سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذٍ: أوجب «طلحة» حين صنع برسول الله ما صنع، أي: وجبت له الجنة.

وذكر محمد بن إسحاق[٢] أن رسول الله ﷺ قال: (من رجلٌ ينظر إلى ما فعل «سعد بن الربيع؟» ـ وسعد أخو بني الحارث بن الخزرج ـ أفي الأحياء هو أم في الأموات؟)، فقال رجل من الأنصار[٣]: أنا أنظر لك يا رسول الله! ما فعل، فنظر فوجده جريحاً في القتلى به رمق، قال: فقلت

---

(١) انظر الطبري: (٢/٥١٧).

(٢) الطبري (٢/٥٢٨).

(٣) قال السهيلي: [الرجل هو محمد بن مسلمة، ذكره الواقدي، وعند أبي عمر في كتاب الصحابة: أنه أبي بن كعب] والله أعلم.

له: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر له: أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: فأنا في الأموات، أبلغ رسول الله ﷺ، وقل له: إن «سعد بن الربيع» يقول لك: جزاك الله خير ما جزى نبيٌّ عن أمته، وأبلغ عني قومك السلام، وقل لهم: «إن سعد بن الربيع» يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم ﷺ، وفيكم عينٌ تطرف، ثم لم أبرح حتى مات، فجئت رسول الله ﷺ، فأخبرته خبره.

وقتل ابنُ شعوب، شَدَّادُ بن الأسود، (حنظلةَ بن أبي عامر) فقال رسول الله ﷺ: (إن صاحبكم ـ يعني: حنظلة ـ لتغسله الملائكة، فسلوا أهله: ما شأنه؟) فسئلت صاحبته، فقالت: خرج ـ وكان حديث عهد بعرس ـ وهو جُنُبٌ حين سمع الهائعة[1]، فقال رسول الله ﷺ: (لذلك غسلته الملائكة). ولما بصُرَ رسول الله ﷺ بما أصاب عمه «حمزة بن عبد المطلب» من جَدْع أنفه وأذنيه، وبَقْرِ بطنه عن كبده، قال: (لولا أن تحزن «صفية» أو تكون سُنَّةً من بعدي، لتركته حتى يكون في أجواف السباع وحواصل الطير، ولئن أنا أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن، لأمَثِّلَنَّ بثلاثين رجلاً منهم)، فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ، وغيظه على ما فعل بعمه، قالوا: والله! لئن ظهرنا عليهم يوماً من الدهر لَنمثَلنَّ بهم مثْلَةً لم يمثلها أحدٌ من العرب بأحد قط. ثم أنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] إلى آخر السورة، فعفا رسول الله ﷺ ونهى عن المُثْلَة. وقد فعل بعبد الله بن جحش كما فعل بخاله «حمزة» إلا أنه لم يبقر عن كبده، وأمر رسول الله ﷺ بدفنهما معاً في قبر واحد.

وأقبلت «صفية» لتنظر إلى «حمزة» أخيها، فقال رسول الله ﷺ لابنها «الزبير بن العوام»: (القها فأرْجِعْها، لا ترى ما بأخيها)، فلقيها «الزبير» ـ فقال لها: يا أُمَّهْ! إنَّ رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، فقالت: ولِمَ؟ وقد

(١) الهائعة: الصوت المفزع من العدو.

بلغني أنهُ مُثِّلَ بأخي، وذلك في الله قليل، فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبنَّ ولأصبرَنَّ إن شاء الله، فلما جاء «الزبير» وأخبر رسول الله ﷺ بذلك، قال: (خَلِّ سبيلها). فأتته، فنظرت إليه، وصلت عليه واسترجعت[١]، واستغفرت له.

وأمر رسول الله ﷺ بدفن الشهداء حيث صُرِعوا، وقال: (انظروا، إلى «عمرو بن الجموح» و«عبد الله بن عمرو بن حرام» فإنهما كانا متصافيين في الدنيا، فاجعلوهما في قبر واحد). ولما أشرف على القتلى يوم أحد قال: (أنا شهيد على هؤلاء أنه ما من جريح يجرح في الله إلاَّ والله يبعثه يوم القيامة يَدْمى جرحه، اللون لون دم، والريح ريح مسك، انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن، فاجعلوه أمام أصحابه في القبر)، وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد.

ومرَّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نُعُوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جَلَلٌ[٢].

ولقي «حمنة بنت جحش» في طريق عودته إلى المدينة، فنعي لها أخوها «عبد الله بن جحش» فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي لها خالها «حمزة بن عبد المطلب» فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي لها زوجها «مصعب بن عمير» فصاحت وولولت، فقال رسول الله ﷺ: (إن زوج المرأة منها لَبِمَكَان!) لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها. ولما مرَّ رسول الله ﷺ ببعض دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر في المدينة، وسمع البكاء والنواح على قتلاهم، ذرفت عينا رسول الله ﷺ، فبكى، ثم قال: (لكن حمزة لا بواكيَ له!)، فلما رجع

(١) استرجعت: قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون.
(٢) جَلَلٌ: تريد صغيرة، وهذه الكلمة من الأضداد.

«سعد بن معاذٍ» و«أُسَيْدُ بن حُضَيْر» إلى دار بني عبد الأشهل، أمر نساءهم أن يتحزَّمْنَ، ثم يذهبن، فيبكين على عَمِّ رسول الله ﷺ، فلما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على «حمزة» خرج عليهنَّ وهُنَّ على باب مسجده يبكين عليه، فقال: (ارجعن يرحمكن الله، فقد آسَيْتُنَّ[1] بأنفسكن).

قال ابن هشام: ونهي يومئذٍ عن النوح. وقال: وحدثني أبو عبيدة: أن رسول الله ﷺ لما سمع بكاءهن قال: (رحم الله الأنصار! فإن المواساة منهم ما عتمت لقديمة، مُروهن فلينصرفن).

قال ابن إسحاق[2]: (وكان ممن قتل يوم أُحُد «مُخَيْريقٌ» وكان أحد بني ثعلبة بن الفِطْيون قال: لما كان يوم أُحُد قال: يا معشر يهود! والله لقد علمتم أن نصر «محمد» عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم، فأخذ سيفه وعدته، وقال: إن أصبت فمالي لمحمد، يصنع فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ، فقاتل معه حتى قُتِل، فقال رسول الله ﷺ ـ فيما بلَغنا ـ: (مُخَيْريقٌ خير يهود). واستُشْهِدَ من المسلمين يوم أُحُد سبعون، وجرح منهم مائة وخمسون[3]. وقَتَل المسلمون خطأ «اليمان، حُسَيْلَ بنَ جابر» والد «حذيفة بن اليمان» وهم لا يعرفونه، فقال «حذيفة»: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه، فتصدَّق «حذيفة» بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً.

وكان «أُبي بن خلف» إذا لقي رسول الله ﷺ بمكة قال: يا «محمد» إن عندي العَوْد، أعلفه كل يوم فَرْقاً من ذرة أقتلك عليه! فيقول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله، فلما كان رسول الله ﷺ يوم أُحُدٍ في الشعب سُمِعَ (أُبَيٌّ) يقول: أين «محمد»؟ لا نجوتُ إن نجوتَ! فقال بعض الصحابة: أيعطف عليه رجلٌ منا؟ قال: (دَعُوهُ)، فلما دنا تناول النبي ﷺ

(١) آسَيْتُنَّ: عَزَّيْتُنَّ وعاونْتُنَّ.
(٢) ابن هشام في السيرة: (٣/٩٩).
(٣) انظر الموسوعة الإسلامية الميسرة.

حربة من «الحارث بن الصِّمَّة» ثم استقبله بها فطعنه بها في عنقه، فخدشه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدم، فقال «أُبَيٌّ»: قتلني، والله! «محمد»، فقالوا له: ذهب والله فؤادك! والله ما بك بأس! فقال: إنه قد كان بمكة قال لي: (أنا أقتلك)، فوالله! لو بصق عليَّ لقتلني، فمات عدو الله بسرفٍ وهم قافلون به إلى مكة.

وذكر ابن هشام[١]: أن النبي ﷺ صلى الظهر يوم أُحُدٍ قاعداً من الجراح التي أصابته، وصلى المسلمون خلفه قعوداً.

وذكر ابن هشام[٢]: أن وحشياً دخل المدينة، وقام أمام رسول الله ﷺ وتشهد بشهادة الحق فقال له: (اقعد فحدثني كيف قتلت «حمزة»؟) فلما حدثه، قال: (ويحك! غَيِّبْ عني وجهك، فلا أُرَيَنَّك)، فكان يتنكَّب رسول الله ﷺ حيث كان، لئلا يراه، حتى قبضه الله. ثم ذهب (وحشي) إلى اليمامة، وشارك رجلاً من الأنصار في قتل «مسليمة الكذاب» وكان يقول: هززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت فيه، وشَدَّ عليه الأنصاري، فضربه بالسيف، فربك أعلم أيُّنا قتله، فإن كنت قتلتُه، فقد قتلتُ خير الناس بعد رسول الله ﷺ، وقد قتلتُ شر الناس. وقال ابن هشام: فبلغني أن «وحشياً» لم يزل يُحَدُّ في الخمر حتى خُلِعَ من الديوان، فكان «عمر بن الخطاب» يقول: قد علمتُ أن الله تعالى لم يكن ليدع قاتل «حمزة». وأخذ رسول الله ﷺ، وهو قافل إلى المدينة، الشاعر «أبا عزة الجمحي» وكان قد أسره يوم بدر، ثم مَنَّ عليه، فقال: يا رسول الله! أقلني، فقال رسول الله ﷺ: (والله! لا تمسح عارضَيْك بمكة وتقول: خدعت محمداً مرتين، اضرب عنقه يا زبير) فضرب عنقه، وعند سعيد بن المسيَّب: قال له رسول الله ﷺ: (إن المؤمن لا يُلْدَغُ من جُحْر مرتين، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت). فضرب عنقه. وكان قتله لنقض «العهد».

---

(١) السيرة (٣/٩٧٠).

(٢) ابن هشام (٣/٨٠).

وكان من أعظم أسباب الهزيمة التي مُنِيَ بها المسلمون يوم أُحُد، عصيان أمر الجند لأعظم القادة قاطبة، حين ترك الرماة مواقعهم على الجبل التي أمرهم نبيهم ﷺ ألا يبرحوها مهما يكن سير القتال، حتى ولو وجدوا إخوانهم ينهزمون، ونسوا قول الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. وبالتالي فإنَّ من يعص الرسول فقد عصى الله، وما كان الله لينصر من عصاه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، والله أسأل أن يتغمد الشهداء الأبرار برحمته، ويجزيهم أحسن ما يجزي أهل جنته!.